# عَن القِرَاءَةِ وَالكِتَابَةِ..

* أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ.. أَبْرِيَ قَلَمِي وَأَكْتُبُ، كُنْ أَيُّهَا الكَوْنُ أَوْرَاقِي، كُونِي أَيَّتُهَا البِحَارُ مِدَادِي، كُونِي أَيَّتُهَا الطَّبِيعَةُ قُرَّائِي، وَكُنْ يَا قَلَمِي صَبُورًا عَلَى وَجَعِ انْصِهَارِي..

* أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى اِتِّسَاعِ قَلَمِي، أَنْ أَفْتَحَ قَلَمِي وَأَنْزُفَ، وَأَكْتُبَ، أُرِيدُ أَنْ أُسَوِّدَ وُجُوهَ الأَوْرَاقِ المُبْيَضَةَ بِقَحْطٍ مُقَنَّعٌ، وَأَرْهَنَ قَلَمِي لِلَحْظَةِ صِدْقٍ فِي أَحْضَانِ الكِتَابَةِ الدَّافِئَةِ..

* أُرِيدُ أَنْ أُبْدِعَ رَبِيعًا، أَنْ أَكْتُبَ لِلإِنْسَانِ الَّذِي يُحِبُّنِي وَأُحِبُّهُ، لِمَنْ يُحِبُّ الجَمَالَ وَالحَيَاةَ وَالإِنْسَانَ.

* أُهَيِّئُ لِلكِتَابَةِ زِينَتَهَا؛ طَاوِلَةً صَغِيرَةً أَنِيقَةً يَتَعَلَّقُ بِخَصْرِهَا كُرْسِيٌّ مُرِيحٌ.. وَأَوْرَاقًا بَيْضَاءَ تَرْمُقُ بِاشْتِهَاءٍ أَقْلامًا جَذَّابَةً تَشْحَذُ أَلسِنَتَهَا لِلكِتَابَةِ.. أَمْضِي نَحْوَ تِلكَ الأُبَّهَةِ وَاثِقًا كَمَلِكٍ.. مُرْتَبِكًا مِثْلَ طِفْلٍ.. مُنَظَّمًا مِثْلَ كَشْفِيٍّ.. مُلتَزِمًا كَعَسْكَرِيٍّ.. مُسْتَقِيمًا كَطَابُورِ شَرَفٍ.. لَكِنَّنِي - يَالَخَيْبَتِي - فَوْضَوِيٌّ كَـ (أَنَا)، وحَبِيبَتِي لَنْ تَقْبَلَنِي إلا فَوْضَوِيًّا.. تُجَرِّدُنِي مِنْ أَنَاقَتِي وَتَرْتَدِيهَا.. تَخْلَعُ عَنِّي أُبَّهَتِي وَتَلبَسُهَا.. ثُمَّ تُبَارِكُ فَوْضَوِيَّتِي وَتَقْتَرِحُهَا عَلَى الآخَرِينَ..!

* أَحْيَانًا أَشْعُرُ أَنَّ فِكْرَةً عَبْقَرِيَّةً تَحُومُ حَوْلَ رَأْسِي كَطَائِرَةٍ نَفَّاثَةٍ.. أَتَمَنَّى أَنْ يَتَفَجَّرَ هَذَا المِطَارُ القَدِيمُ لِتَهْبِطَ طَائِرَتِي الحَمِيمَةُ عَلَى دِمَاغِي بِأَمْنٍ وَسَلامٍ.. ثُمَّ تَطِيرُ مُحَلِّقَةً فِي كُلِّ الآفَاقِ.

* اِحْتَشِدِي أَيَّتُهَا الأَفْكَارُ بِرَأْسِي فَسَآسِرُكِ فِيهِ.. مِثْلَمَا عَذَّبْتِنِي بِتَمَنُّعِكِ فَسَأُسَرِّبُكِ كِلمَةً كِلمَةً.. حَتَّى تَخْرُجِي مِنْ دَائِرَةِ العِنَادِ عَرَائِسَ مِنْ ضَوْءٍ وَعِطْرٍ.. بَنَاتِ دَهْشَةٍ.. وَعَشِيقَاتٍ فَاتِنَاتٍ.

* الأُمَمُ الَّتِي وَعَتْ أَهَمِيَّةَ المَعْرِفَةِ، وَحَتْمِيَّةَ القِرَاءَةِ، بَنَتْ حَضَارَاتِهَا عَلَى ضِفَّتَيْ كِتَابٍ.. وَعَلَى هَدْيٍ مِنْ كِتَابٍ.. وَحِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُرْسِلَ تَعَالِيمَهُ الهَادِيَةَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ كُتُبًا.. وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ الأَصْفِيَاءَ بِكُتُبٍ عَظِيمَةٍ.. فَلَقَدْ كَانَ الكِتَابُ رَسُولًا أَيْضًا..

* كُلُّ كِتَابٍ قَرَأْتُهُ شَعَرْتُ بِأَنَّنِي قَدْ سَاهَمْتُ فِي كِتَابَتِهِ.. وَإِنْ فِي ذَاكِرَتِي، وَلَوْ فِي أَعْمَاقِي..!

* أَنَا مِنْ مَوَالِيدِ (بُرْجِ الكِتَابِ) فَاسْأَلُوا قَلبِي وَعَيْنَيَّ، شَاهِدَي العَدْلِ الصَّدُوقِ، غُرْفَتِيَ المِضَاءَةَ بِأَلفِ مِصْبَاحٍ.. أَعْنِي بِأَلفِ كِتَابٍ أَثِيرٍ..!

* أَزْعَمُ أَنَّنِي وُلِدْتُ وَبَيْنَ يَدَيَّ كِتَابٌ، وَفِي فَمِي قَصِيدَةٌ.. الكِتَابُ خِلوَتِي الآمِنَةُ.. وَصُحْبَتِي الأَمِينَةُ.. وَمَدْرَسَتِي المِهْرَةُ..

* هَاجِسُ المِعْنَى (ذَكَرٌ) مَارِقٌ، فَهْوَ يُغْرِي (بَنَاتِ أَفْكَارِي) بِالتَّعَرِّي السَّافِرِ عَلَى الوَرَقِ..!

* كَيْفَ أَكْتُبُ هَوَاجِسِي، وَبَارِقُ الفِكْرَةِ يَسْبِقُ القَلَمَ الحَرُونَ..!؟

* أُرِيدُ أَنْ أَسْكُبَ الكَلِمَاتِ فِي أَعْمَاقِي، لِذَا أُرِيقُهَا فِي عَيْنَيَّ وَأَنَا مُسْتَلقٍ عَلَى ظَهْرِي.

* يَا لَفَوْضَايَ الفَادِحَةِ.. أُبَعْثِرُ كُتُبِيَ الجَدِيدَةَ وَأَتْرُكُ عَيْنَيَّ تَرْعَيَانِ فِيهَا..!

* القِرَاءَةُ أُكْسِجِينُ المِبْدِعِ، مِنْ دُونِهَا تَمْتَلِئُ رِئَتَاهُ كَرْبُونًا.. عَجْزًا.. مَوْتًا..

* لِلكُتُبِ دُمُوعُهَا حِينَ تُدْرِكُهَا البَطَالَةُ؛ سَلُوا أَحْبَارَهَا البَاهِتَةَ، وَأَوْرَاقَهَا الذَّابِلَةَ المِصْفَرَّةَ.. القِرَاءَةُ تُعِيدُ الرُّوحَ لِلكُتُبِ.. تَنْتَشِلُهَا مِنْ غَيَابَاتِ الإِهْمَالِ وَالنِّسْيَانِ..

* الكُتُبُ المِكَدَّسَةُ عَلَى الأَرْفُفِ المِتْرِبَةِ عَنَّسَتْ.. فَطَفِقَتْ تَقْرَأُ نَفْسَهَا..!

* فَقَدَ كِتَابٌ ذَاكِرَتَهُ فَالتَهَمَ حُرُوفَهُ، عَلَى حَوَافِّهِ سَالَ الحِبْرُ صَدِيدًا أَسْوَدَ..!

* لِلكَلِمَةِ الصَّادِقَةِ أَعْيُنٌ تُبْصِرُ بِهَا طَرِيقَهَا إِلَى القُلُوبِ، وَلَهَا أَرْجُلٌ تَعْبُرُ بِهَا الطَّرِيقَ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ، وَلَهَا أَيْدٍ تَطْرُقُ بِهَا أَبْوَابَ القُلُوبِ المِوصَدَةَ، غَيْرَ أَنَّهَا لا تَسْتَأْذِنُ بِالدُّخُولِ، هِيَ لَيْسَتْ قَلِيلَةَ أَدَبٍ؛ وَإِنَّمَا قَلِيلَةُ صَبْرٍ، لا تَحْتَمِلُ اِنْتِظَارَ القُلُوبِ الظَّمْأَى لِلرَّحِيقِ، لِمَجِيئِهَا، فَتَقْتَحِمُهَا دُونَ اِسْتِئْذَانٍ، أَمَّا

الكَلِمَاتُ العَمْيَاءُ فَهْيَ تَتُوهُ فِي دَهَالِيزِ الأَسْمَاعِ، وَتَذْوِي عِنْدَ حُدُودِ الآذَانِ..

* للكَلِمَاتِ الفَارِغَةِ ضَجِيجٌ سَلبِيٌّ كَالدُّخَانِ؛ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ، عُنْوَانٌ لِلخَرَابِ، وَمَوْتٌ غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ.

* كَانَ يَثْنِي أَعَالِي صَفَحَاتِ الكِتَابِ الَّذِي أَهْدَاهُ لِي لِيُثْبِتَ أَنَّهُ قَدْ قَرَأَهُ، حَتَّى تِلكَ المُلتَصِقَةَ بِبَعْضِهَا هَرَبًا مِنْ فَكِّيِّ المِقَصِّ..

* الفَرَاشَاتُ الَّتِي قَرَأَتْ مَعِي كِتَابِي دَعَتْنِي لِقَرَاءَةِ كِتَابِ الرَّبِيعِ غَدًا..!

* يَخْدِشُ القَلمُ بَكَّارَةَ الوَرَقَةِ فَتَنْزِفُ عِطْرًا طَهُورًا.. أَفَلا يَنْسِبُ القَلمُ الغَوِيُّ أَوْلادَهُ الأَطْهَارَ إِلَيْهِ..!؟

* يَالَرَكْضِنَا وَرَاءَ المَعْرِفَةِ.. وَيَالَرَكْضِهَا فِينَا وَمِنَّا..!

* هَل تَخْشَى الكَلِمَاتُ العَذَارَى قَلَمِيَ المُجَرَّدَ فَلا تَجِيءُ.!؟

* نَامَ القَلمُ فِي جَيْبِيَ الأَيْمَنِ.. وَفِي الأَيْسَرِ صَرَخَتْ حَبِيبَتُهُ الوَرَقَةُ..!

* عَطَسَ القَلمُ عَلَى الوَرَقَةِ فَنَمَتْ أَلفُ حَدِيقةٍ، وَاشْرَأَبَّتْ نَحْوَ الشَّمْسِ مِليُونُ زَهْرَةٍ.

* بَعْضُ الكَلِمَاتِ تُغَنِّي.. وَتُعَطِّرُ.. وَتُحْيِي.. وَبَعْضُهَا تُظْلِمُ، فَتَمُوتُ..!!

* بَعْضُ الكَلامِ يَمُوتُ بِنُطْقِهِ، وَبَعْضُهُ يَنْطِقُ بِمَوْتِهِ..!

* بَعْضُ مَكْتَبَاتِنَا مُجَرَّدُ مَقَابِرَ كُتُبٍ، سُجُونٍ جَمَاعِيَّةٍ لِكُتُبٍ بَرِيئَةٍ مَظْلُومَةٍ مَحْكُومَةٍ مُؤَبَّدًا بِعَدَمِ التَّنَفُّسِ، مُعَاقَبَةٍ بِاللاقِرَاءَةِ..!

* الكُتُبُ الفَجَّةُ تَنْطَفِئُ لَحْظَةَ الفُرُوغِ مِنْ قِرَاءَتِهَا، وَرُبَّمَا قَبْلَهَا، أَمَّا الكُتُبُ المُمْتِعَةُ فَلِذَّتُهَا تَبْقَى مَاثِلَةً فِي الذِّهْنِ وَالفِكْرِ وَالقَلبِ، تَظَلُّ حَاضِرَةً فِي البَالِ كَطَعْمِ الحَلوَى فِي أَفْوَاهِ الصِّغَارِ.

* أَقْرَأُ هُنَا.. أَقْرَأُ هُنَاكَ.. أَقْرَأُ حُبًّا.. أَنْقُبُ كَالطَّيْرِ حَبًّا..

* لَقَدِ اِسْتَغْنَيْتُ عَنِ العَالَمِ حِينَ أَحْبَبْتُ الكِتَابَ..!

* لَقَدْ تَخَلَّصْتُ مِنْ جَحِيمِ الآخَرِينَ حِينَ اِهْتَدَيْتُ إِلَى جَنَّةِ القِرَاءَةِ..

* الكُتُبُ الرَّدِيئَةُ جَحِيمٌ مَعْرِفِيٌّ يُحَاوِلُ الرَّدِيئُونَ أَنْ يَسْكُبُوا سَعِيرَهُ فِينَا، أَنْ يَدْلِقُوا سَعِيرَهُمْ فِي أَعْمَاقِنَا..

* جُرْمُ حَرْقِ كِتَابٍ يُعَادِلُ فَدَاحَةَ حَرْقِ وَطَنٍ..

*كُتُبِي أَصْدِقَائِي.. أَفْتَقِدُهَا.. وَتَفْتَقِدُنِي..!

*كُتُبِي أَطْفَالُ مَكْتَبَتِي.